ربنا عرفوه بالعقل

أحمد الأسيوطي

الكتاب	ربنا عرفوه بالعقل
تأليف	أحمد الأسيوطي
المقاس	١٤ × ٢٠
الناشر	دار الياسمين للنشر والتوزيع
العنوان	بجوار مسجد نصر الدين – من شارع الهرم – الجيزة – ج.م.ع
التليفون	٠١٠٦٤٤١٢٥٣٣
المدير العام	ماجد إبراهيم
مدير النشر	رشا ماهر
تصميم الغلاف	المؤلف
التصحيح اللغوي	صابرين خيري
رقم الإيداع	٤٧٠٦ / ٢٠٢٠
الترقيم الدولي	978-977-6513-98-3
الايميل	elyasminpublishing@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة ©

هذا المصنف مصري ١٠٠% ويحظر إعادة نشره أو طبعه أو ترجمته وتوزيعه أو تحويله لعمل فني مرئي أو مسموع إلا بعد الحصول على موافقة الناشر والمؤلف كتابياً وإلا تعرض للمسائلة القانونية.

ربنا عرفوه بالعقل

هكذا عرفت الحق

أحمد الأسيوطي

الإهداء

إلى الرفاق الذين شاركوني في إدارة مجموعة

"حوار مع صديقي الملحد بالعقل والعلم والإيمان"

على موقع الفيس بوك وهم:

علوش سلوم – محمد عبد الواحد- عبير محمد –بابكر سليمان - جنة – منال

–كريم- د.سامي – أمينة ..وآخرين

شكرا لكم

وإلى ابنتي.. رنا

لعل هذا الكتاب يومًا ينير لكِ الطريق

مقدمة

- **هو ربنا عرفوه بإيه..؟!**
- **عرفوه بالعقل**

سؤال وجواب متلازمان كبديهة من البديهيات، لا يكاد يخلو نقاش بين اثنين إلا وبدأ بهما، وكأنهما يتخذان من قدرة العقل على "معرفة الله" قرينة على قدرتهما على الاتفاق في الموضوع الذي سوف يتناقشان فيه.. ولكن عندما يتم طرحه للنقاش على هيئة : كيف عرفنا الله، بالعقل أم بالشرع..؟!

تجد البعض يسارعون إلى القول: لقد عرفنا الله بالشرع ومن النصوص الدينية أي (الأدلة السمعية)، وليس الأدلة العقلية، وهذا جواب قصد به امتهان القدرات العقلية، جواب توارثوه من تلك العداوة القديمة بين النصيين وبين الفِرق الكلامية "فلاسفة المسلمين وعلماء الكلام" الذين أعلوا من شأن العقل وجعلوه حكمًا على كل شيء..

وقد حاول البعض التوفيق بين الرأيين فقال، عرفناه بالشرع والعقل معًا، أو بالشرع أولًا ثم العقل..!، ولكننا_ بعيدًا عن هذه الأجوبة التقليدية_ نعتقد اعتقادًا راسخًا في تلك البديهية التي صدَّرنا بها كلمتنا، والتي يتداولها العامة كواحدة من البديهيات والمسلمات ويضرب بها في كل مثل..

نعتقد أن الله لن يخلق مخلوقًا عاجزًا عن معرفته دون وسيط، فمهما كان العقل ناقصًا كمخلوق؛ ولكنه لن يكون أبدًا عاجزًا عن معرفة خالقه وإلا..فحتى الشرع لن يفيد..

أذكر ذات مرة حكى لي أحدهم هذه الحكاية فقال :

"اليوم جلس أمام دكاني فلان "العبيط" وأخذ يقول "هو ربنا ده مش وراه شغلانه قاعد بس ياخد من ده ويعطي ل ده " ثم مصمص الرجل شفتيه قائلا : شوف سبحان الله حتى "العبيط" عارف حكمة ربنا".

فأنظر إلى هذا الرجل "معتل" العقل كيف تراه قد عرف الله؟!

ولا تقل لي أنه عرف الله بالشرع، فالواضح أنه عرف الله من مراقبة عواقب الأمور، وكيف أن حوادث الزمان ترفع أقوامًا وتضع آخرين

صحيح..صدق القائل "خذوا الحكمة من أفواه المجانين"

ولماذا نذهب بعيدًا وهذا هو كتاب الله بين أيدينا، وهو في رأينا يحسم هذا الأمر بتلك الآية :

﴿**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافا كثيرا**﴾ النساء ٨٢

فالله - سبحانه - جعل استعمال العقل بالتدبر في الآيات هو السبيل إلى معرفته، وبالتالي فلن تفيد النصوص شيئا في حالة عدم استعمال العقل.. إذن فالله قد عرفوه بالعقل.!

ولدينا في ذلك تجربة عملية، هي تجربة الحنفاء من لدن سيدنا إبراهيم عليه السلام، حتى سيدنا محمد ﷺ، والذي كان حنيفيا قبل بدء البعثة

فسيدنا إبراهيم عليه السلام، استعمل عقله فيما حوله من آيات كونية، لم تستطع الصمود أمام تحدي العقل، ومنطق وجوب الحضور الدائم للإله الحق..فلما أعياه البحث قال " لئن لم يهدني ربي.."،عرف أن له رب من معرفته أنه مربوب،ثم سأله أن يهديه إلى شريعته ومطلوبه (أي ما يصلحه)، فكما

يعرف الفرع أن له أصل، يعرف المخلوق أن له خالق..وكما يعرف أنه حاضر، عرف أن الإله لا ينبغي له أن يغيب.. وهكذا..

إنها بديهات عقلية

وفي الوقت نفسه لا نهمل دور النص أو الوحي في تعريفنا بمطلوب الإله منا، وتعريفنا بما يصون الإنسان لكون هذا الوحي هو توجيه أعلى صادر من رب إلى مربوب، وهي ولا شك توجيهات يجب أن يكون فيها صلاح المربوب لا فساده. وفي هذا الكتاب سوف نثبت كيف أن العقل يستطيع أن يتوصل إلى معرفة الخالق والتمييز بين الوحي الحق والوحي الكاذب.

سوف ننطلق في كتابنا أو بحثنا عن الإله من نقطة مجردة، لن نكون فيها منتمين إلى أي دين، نريد بحثا موضوعيا لا عاطفيا، بحث إنسان عن خالقه لا بحث متدين بدين عن مبررات لهذا التدين!!

لذا جاء هذا الكتاب _وعن قصد_ خاليًا من الاقتباسات، مقلاً في الرجوع إلى النصوص.. عامدا إلى البرهان العقلي أصلا ومرجعا في بحثه وتفكيره.

بقي أن أقول:

أن هذا الكتاب صدر في هيئته الأولى في عام ٢٠١٥ كإصدار إلكتروني تحت عنوان "الطريق إلى الإيمان"، يضم خلاصة تجربتي في مناظرة الملحدين، ثم تناولته بالتنقيح والتعديل حذفاً وإضافة ليناسب جميع الفئات العمرية خاصة الأصغر سنًا، فخففت منه مسائل وحذفت آخرى،وأبقيته على حاله التي هو عليها الأن، ورأيت نشره مرة أخرى لظني حاجة الناس إليه،لاسيما الشباب اليافع،ولأنني أحب أن يكون في صحيفة أعمالي يوم القيامة.. فإن كان

صوابًا فمن الله، وإن أخطأت فيه.. فعذري أني كنت له سبحانه محبًا والمحب لا يُلام!

أحمد الأسيوطي

ديسمبر ٢٠١٩

"ابك ما شئت من البكاء فلا شيء يستحق أن تبكيه.. لا فقرك و لا فشلك و لا تخلفك و لا مرضك..

فكل هذا يمكن تداركه،أما الخطيئة التي تستحق أن تبكيها فهي خطيئة البعد عن إلهك..

فإن ضيعت إلهك.. فلا شيء سوف يعوضك.. و كل أحلام الشعراء لن تغنيك شيئا.."

د. مصطفى محمود

- الإسلام ما هو؟

هكذا عرفت الله

١- البداية

دعونا نبدأ رحلتنا عند ذلك الرجل "**اللاأدري**"،الذي لا يعرف إن كان للكون إلـه أم لا؟! أو.. هل يوجد دين أو ثمة رُسل بحق أم لا؟!!

ولنفترض،أنه نشط لديه حب المعرفة الفطري،عندما كان ذات يوم في معرض لوحات فنية،يقف أمام لوحة مرسومة جميلة،تحاكي شجرة في البراري ممتدة الظلال،موفورة الأوراق،مكتظة الثمار ..

فراح يسأل مَن حوله:

- **أين صاحب هذه اللوحة الجميلة؟!..**

وحين لم يرد عليه أحد،أخذ يصيح :

- مالكم لا تنطقون!، لابد أن يكون لهذه اللوحة صاحب قام برسمها؛ فهي أبدًا لم تكن لترسم نفسها..فمن هو الرسام.. ألا تجيبون؟!!..

وقد ظل هذا السؤال في ذهنه حتى بعد أن خرج من هذا المعرض،ثم راح فكره ينساب،والأسئلة تترىً على ذهنه :

إذا كان يستحيل أن تكون اللوحة الفنية رسمت نفسها،إذ يستحيل على الفرشاة أن تتحرك من تلقاء ذاتها، ثم تنغمس في الألوان التي تجمعت في سيولة معينة،وبمقادير محددة،ثم ترسم هذه اللوحة الجميلة!

يستحيل أن تفعل الفرشاة ذلك من تلقاء ذاتها حتى لو تركنا كل هذه الأدوات (الفرشاة – الألوان – اللوحة) ملايين السنين فإنها لن تفعل ذلك من تلقاء نفسها أبدًا، إنها أدوات لا عقل لها.. وبالتالي لها صاحب قام برسمها..!

فمن إذن يكون صاحب الشجرة الحقيقية التي تحاكيها اللوحة؟؟،مَن أوجد هذه الشجرة؟ مَن قام بتوفير البذرة وكيف أنشأها؟ ولماذا تخرج ثمارها من الأغصان ذليلة بينما ثمار أُخرى كحبات البطاطا تخرج من البذرة دون غصن!!.

من أين جاءت بذور كل شيء؟.. من أين جاءت "بذرة" الإنسان الأول؟.. أول خلية مَن أوجدها؟ مَن نفخ فيها وسواها حتى تحولت من خلية تافهة إلى ذلك الكائن العجيب "الإنسان" بكل ما لديه من قدرات وملكات..

من أين جاءت الخلية بالعقل للتفكر، بالعينين للنظر، بالاذنين للسمع، باللسان للكلام، وبالشفتين تفتحان للطعام...؟

مَن صاحب كل ذلك؟ مَن هو "الرسام" أو الفاعل؟!!

***

وقبل أن نمضي قُدما نرد على سؤال اعتراضي يُطرح دائما وهو:

إن أتباع داروين ونظرية التطور يقولون أن الإنسان تطور من كائن آخر.. وبالتالي ليس هناك خالق،إنها عملية تحور ذاتية، فما صحة ذلك؟!

يا عزيزي.. أنها خدعة ساذجة وسحر رخيص.. أنت رأيت الأرنب يخرج من قبعة الساحر وقد تحجز لي تذكرة ووجبة عشاء في فندق أو مسرح كبير لتجعلني أرى بعيني هذا السحر المدهش أيضًا..ولكني أختلف عنك.. فأنت رأيت الساحر يحول القبعة إلى **أرنب**، أو رأيته يمد يديه في الهواء فيأتي بورقة كوتشينة، نعم رأيت مثلك الورقة وهي تأتي من لا شيء.. ولكني لا اسأل عن الورقة ولا عن الأرنب..إن سؤالي هو عن تلك "**اليد**" التي حولت قبعة إلى أرنب، وأتت بورقة من الهواء!!

وبالتالي: فإن داروين وأنصاره لا يقدمون إجابة لسؤال "**من بدأ الخلق**؟"، وأن جوابهم "نظريتهم" على أحسن تقدير قد تصلح إجابة على سؤال "كيف تطور الخلق؟"، وليس السؤال "من أنشأ هذه الشجرة؟" كالسؤال "كيف صارت كرسيا؟"،وأن عمليات التحور أو التغير "الطفرة" لا تصلح فاعلًا موجِدًا، لأن "الطفرة" ترد على "موجود" ولا ترد على "عدم"، كما يجب أن يسبقها نظام وترتيب، لأن الطفرات هي خروج عن قواعد النظام والترتيب!!

فالحديث عن أن نظرية التطور تنفي الخالق هو سحر رخيص.. بل "**استهبال**" رخيص.. إنه مثل أن أسألك :

من خلق هذه الدجاجة؟

فتضحك ساخرًا: هاه هاه.. لقد كانت بيضة ثم تطورت وأصبحت دجاجة..

- عفوًا.. قف.. هل تظن أن ضحكك واصطناعك السخرية من تفكيري يجعلك قادرا على خداعي، وتمرير جواب لا علاقة له بالسؤال!!؟..

فسؤالي عن: مَن هو موجِد هذا الشيء؟ وليس : كيف تطور هذا الشيء؟

***

وبرغم حرصهم على البحث عن ذاك الأصل "الكائن المجهول" الذي يثبت أن الإنسان والحيوان يشتركان في أصل واحد "جد مشترك"

سيظل السؤال قائمًا : هل أوجد نفسه؟ وكيف انقرض إن كان قد أوجد نفسه؟.. وهل لشيء وجد بذاته أن ينقرض؟ أليس ما يوجد بذاته يكون له صفة "البقاء بذاته" أي الاستمرارية؟!!..

فإن انقرض،دل على أنه لم يوجد بذاته.. ويظل السؤال مطروحًا بلا جواب: من هو الفاعل "الخالق"؟

***

وهكذا.. يقودنا معه ذلك الرجل بأسئلته حول خالق الشجرة التي رأها في اللوحة الفنية إلى البحث عن ذلك "الخالق"، المبدع الأول.

***

٢- ما هي صفاته؟

عن ماذا نبحث؟

نبحث عن "الفاعل" لهذا الوجود، المنشئ له من عدم.. وعند البحث عنه يجب أن يكون في ذهننا تصور لما نبحث عنه، هذا التصور منبثق من علمنا بالشيء الذي نبحث له عن فاعل أو "خالق" أو صانع ..

فمثلا إن كنا نبحث عن خالق "صانع" للساعة، فإن التصور الذي يرد في ذهننا عنه هو "صانع" ذو قدرة على العمل، وأنه عليم، ومبدع، ومنظم.. هذه الصفات الأولية التي في تصورنا إنما جاءت من طبيعة الشيء ذاته "الساعة"، فإن إيجادها يحتاج إلى طاقة أو مقدرة، هذا الإيجاد دون أن تكون مسبوقة بمثيل يعني أنها إبداع مبدع، وبما أنها بطبيعتها وجدت لغاية تفيد تنظيم الوقت، فلا شك أن موجدها ومبدعها منظم لا مهمل وكسول!

مثال آخر:

إن وجود سيارة يوجِد في ذهننا صورة عن أن الفاعل –الصانع– الذي نبحث عنه من صفاته أنه ذو قوة ومهارة في تشكيل المعادن الثقيلة وصناعتها بشكل معين.. وأنه أيضًا ذو علم وإرادة.

وبالتالي عند البحث عن صانع أو خالق هذا الكون فهنا يجب أن تتشكل لدينا بعض التصورات الذهنية لما يجب أن يكون عليه..

فهذا الكون من نجوم وسماوات وأقمار وكواكب ومدارات و..و.. إلخ.. دليل على وجود صانع يتحلى بصفات فما هي؟

إن الخالق – أي خالق – ليخلق؛ يجب أن يكون لديه علم بما سيخلق فمن صفاته إذن : العلم.. أي هو "عليم".

وأن لديه القدرة على إيجاد ما يريد صنعه أو "خلقه"

إذن من صفاته : القدرة، أي هو "قدير".

وطالما لديه العلم والقدرة، وقد وجد الشيء فعلا وظهر للوجود،إذن هو : ذو إرادة، أي "مريد"، "فعال لما يريد".

والقادر "حي"، لأن الميت لا حول له ولا قوة

إذن هو "حي".

والكون يعمل وفق ترتيب ونظام(قوانين) محكمة

إذن هو "حكيم"، "خبير".

وبعض المخلوقات لديها قدرة على السمع، إذن هو أيضًا سميع؛ لأنه لا يمكن أن يكون أصما ويخلق سمعًا.. فمن يولد أصم؛ أنى له أن يعرف أن ثمة سمع!؟

وبعض المخلوقات بصيرة إذن هو بصير؛ لأنه لا يمكن أن يكون أعمى ويخلق بصر.. فمن يولد أعمى، أنى له أن يعرف أن ثمة بصر!؟

وفي الكون ما هو ظاهر وما هو باطن؛ إذن هو للباطن باطن، وللظاهر ظاهر.. لأنه لن يغيب عنه باطن هو أبطنه، ولا ظاهر هو أظهره.

وصفات أُخرى كثيرة يمكننا الاستدلال عليها..

فالكون فيه رحمة، فهو إذن رحمن رحيم، وكل شيء في الكون له مقدار ووزن ويسير بحساب؛ إذن هو حسيب، والحسيب رقيب، والكون فيه أرض

موضوعة، وسماء مرفوعة،فهو إذن الخافض،الرافع،المعز،المذل، وهو مبتدأ كل شيء؛ لأن الفاعل يسبق الفعل والخالق أقدم من المخلوق فهو الأول والقديم، وكل ما سواه يستمد بقاؤه منه فيكون عرضة للفناء ..أما هو فلا يستمد بقاؤه من شيء، فلا يكون عرضة للفناء فهو "**الآخر**" كما كان هو الأول.

وهكذا..فجميع صفات الصانع "الخالق" يمكن معرفتها استدلالًا من خلال الصنعة التي صنعها.

فأثر السير يدل على المسير كما تدل البعرة على البعير.

***

إذن نحن الآن نبحث عن خالق لهذا "**الكون**" من صفاته أنه :

عليم، قدير، مريد، حي،قوي،حكيم،خبير، سميع،بصير، حسيب، رقيب. رحمن، رحيم، خافض، رافع، معز، مذل، ظاهر، باطن، بديع، أول، آخر... إلخ

***

وكل هذه صفات إيجابية "**صفات كمال**"

ولكن.. هل يمكن لنا تصور وجود صفات سلبية "**صفات نقص**" في ذاته كأن يكون "ضعيفًا" مثلا؟!!

إن العقل يجيب على هذا التساؤل بأنه مستحيل!!..

كيف أيها العقل تقول أنه مستحيل؟!! ما حجتك وبرهانك؟

الجواب :

إن الصفات السلبية "عيب"، والعيب يعني "النقص" ويلزم من وجود النقص وجود "الاحتياج"،والحاجة والاحتياج يحتاج إلى إشباع،

وبما أن من صفاته "**فعال لما يريد**" فهو لن يكون محتاجًا أبدًا، فالضعيف الذي يمكنه أن يكون قويًا متى شاء، لا يمكن أن يوصف بالضعف في أي وقت. وبالتالي لن يكون هناك نقص أو "عيب".

***

٣- ما هي طبيعته وهيئته؟

بعد أن أصبح عندنا تصور عقلي أو ذهني لما ينبغي أن يكون عليه من صفات كمال، وهي صفات إيجابية، وإنه يستحيل أن يكون فيه صفات سلبية تعتبر نقص أو شر ..

نبحث الأن عن تصور للهيئة والشكل الذي تجتمع فيه هذه الصفات؟

هل هو إنسان أو كالإنسان؟، هل هو جماد أو كالجماد؟، هل يشبه أي كائن معروف؟!

كل الكائنات يجمع بينها صفة مشتركة هي "**الوجود المادي**"فلا يوجد إنسان أو جماد أو حيوان أو نبات، أو أي كائن كان، ليس له : "**جسم**" أو وجود مادي..

وبالتالي إذا انتفى عقلا أن يكون له جسم؛ فهو ليس أيًا من هذه الكائنات المادية

فهل أيها العقل يمكن أن يكون للخالق جسم؟

قد يسارع أحدهم بالجواب:

العقل يقول إذا كان موجودًا فهذا يعني أن له وجود مادي "جسم"

فهل هذا الجواب معقول فعلا؟!!

لا.. بل أن هذا مستحيل عقلا..

لماذا؟

لأنه يلزم من وجود المادية أو الجسمية وجود الحاجة إلى الحيز "فالمادة تشغل حيزًا من الفراغ"

وهذا يترتب عليه عدة إفتراضات هي نقائص ومنها:

- أن يكون الحيز سابق والخالق لاحق، وهذا باطل لأن كل مسبوق هو فرع لما سبقه، أي كل مسبوق مخلوق

- أن يكون هو الذي أوجد الحيز، وهذا يعني أنه كان سابقا له في الوجود، إذن لم يكن يحتاج إليه، وبالتالي طالما لا يحتاج إليه فهو ليس "مادة من المواد ولا جسم من الأجسام".

- كذلك يترتب عليه أن يكون محتاجًا، وقلنا أن الخالق من صفاته أنه لا يحتاج، لأن الاحتياج صفة عيب ونقص، فكيف يحتاج وهو الذي يشبع حاجة كل شيء!!؟

***

كما أن الحياة "الروح" ليست من صفات المادة، فلو أن الحياة صفة ذاتية في المواد والأجسام، لما مات جسم أو هلكت مادة!

فكل جسم حي هو مركب، هو مجموع مادة (جسم) وروح (حياة)، وكل مجموع مسبوق بجامع "فاعل" ذو إرادة جمعتهما، وكل مسبوق مخلوق، إذن كل جسم حي مخلوق وليس بخالق!.

***

وبالتالي نكون في هذا المبحث قد وصلنا إلى أن الصفات التي في ذهننا عن الخالق، موجودة في خالق ليس له مادة أو جسم مثل الذي نعرفه نحن البشر في الدنيا، لأن ما نعرفه له قوانين إذا طبقناها عليه صار الخالق مخلوقًا أو معيوبا والإله الحق لا يكون مخلوقًا ولا معيوبًا!.

ولا ينبغي أن ننسى أن هناك مخلوقا لا نعرف كنهه يعيش بداخلنا وهو الروح فما بالكم بخالق الروح!!.

٤- أين هو؟

عقلا، ومنطقا، ويقينا، الصانع بائن من صنعته.. هذه حقيقة

فهو موجود قبل أن يصنع الشيء.. وبالتالي فالشيء المصنوع ليس "أينه"، أي ليس المكان الذي يوجد فيه، وبعبارة أخرى، ليس هو الجواب لسؤال أين هو؟!

فصانع السيارة ليس جزءًا منها، وصانع الساعة ليس جزءًا منها..

كذلك فالخالق ليس جزءًا من الكون، فذاته منفصلة وبائنة من صنعته.. لأنه كان قبل خلق الكون..

ولكن.. هل الخالق خلق المكان "الكون" ثم دخل فيه؟

استحالة.. لأنه كان قبل خلق المكان، وهو –كما ذكرنا سابقا – منزه عن الاحتياج، فلن يدخل فيما خلق لعدم حاجته إليه.. فالإنسان لولا الحر والبرد، لولا الخوف من الأعداء من الإنس والوحش أو الطير.. لظل يعيش في العراء دون الحاجة إلى أن يتخذ بيتًا للسكن.

***

الله خلق الخلق وهو غير محتاج لهم، فهل يجوز له أن يسكنه أو يحل فيه لغير حاجة؟ أي دون أن يكون محتاجًا لذلك؟

الجواب:

الله حين خلق لم تلحقه نقيصة بسبب ذلك، ولكن حين يحل في مخلوقه أو يتجسم فيه فتلك نقيصة، لأن الشيء إذا حل في شيء آخر صار خاضعا للقوانين التي تحكمه ، أي صار مغلوبًا لا غالبًا، مقدورًا عليه لا قادرًا..

فإذا سمعت بعد ذلك أن جماعة من الناس قتلوا الله أو صلبوه فصدق ذلك، لأن كل متجسم بجسم جاز أن يلحقه من الضرر نفس ما يلحق ذلك الجسم الذي تجسم فيه أو حل به،

وإذا كنت لا تقبل بخبر مقتل الإله، فكيف تقبل بالقول بجواز حلول الخالق الأزلي القاهر في المخلوق الفاني المقهور؟!!.

***

٥- هل يمكن رؤيته؟

إن رؤية الخالق مطلب بشري فضولي قديم، ولكن ما مدى قابلية تحقيقه في العقل؟

لقد توصلنا في رحلة البحث منذ انطلقنا من معرض اللوحات في المبحث الأول، إلى أن الله سبحانه؛ ليس بمادة ولا جسم مما نعرف من المواد والأجسام!

الأمر الذي يعني، أنه خارج قدرة الحاسة البصرية، لأن البصر لا يرى إلا كل ما هو مادي.

ولا يرى أيضًا إلا ما يقع في مجال الرؤية، فالعين لا يمكنها أن ترى الشيء المتناهي في الصغر، ولا أن تحيط بالشيء المتناهي في الكبر، ولا الشيء الشديد في القرب، ولا الشيء الشديد في البعد.

وأثبتنا من قبل، أن الحلول باطل.

وبالتالي، فكل من يدعي رؤية الإله الخالق، فهو إما كذاب، أو مريض متوهم!

***

ولكن قد يطرق ذهننا سؤال عن إمكانية التجلي، فإن كان الإله لا يُرى ،ولكن بإمكانه أن يتجلى للرائي وهذا حدث في القرآن الكريم – كتاب الإسلام – حيث نقرأ عن واقعة تجلي الله للجبل، حين طلب النبي موسى أن يراه؟، مما يعني أن الرؤية ممكنه على الأقل عند أهل الديانات السماوية ، أليس كذلك؟!

والجواب على ذلك سهل وبسيط، فالذي حدث حسب الرواية الدينية هو أن الله "**تجلى**" للجبل ، فالفعل فعل الله لا فعل الجبل

فلو أن الجبل نطق وقال رأيت الله ، ما صدقناه لأنه خارج قدرة الجبل

وإذا قال الله أنه تجلى للجبل ، صدقناه ، لأن ذلك في مقدوره ،وبالتالي فالخبر صحيح .

فهناك فرق بين أن تقول رأيته ، وهنا يحق لنا أن نكذبك

وبين أن يقول هو : تجليت له ، وهنا لا نملك تكذيبه لأن هذا شيء لا يُعجزه

***

٦- لماذا خلق؟

بعد أن اثبتنا أن للكون صانع أو خالق، عليم، حكيم، قدير، خبير.. إلخ فإن السؤال الذي يتبادر إلى عقلنا الأن : لماذا خلق؟!

إننا ندرك بالعقل أنه لا يوجد شاعر لم يقرض الشعر..

ولا رسام لم يرسم لوحة.

ولا سباح لا يعرف السباحة.

ولا موسيقار لم يعزف مقطوعة موسيقية واحدة.

فكيف يوجد خالق لم يخلق؟!

كيف تسمي فلانًا نجارًا، أو حدادًا، أو مخترعًا، إلا إذا وجدت من كل منهم أفعالًا دالة على وجود هذه الأوصاف فيهم واستحقاقهم لمسمياتها؟!

إذن :

الخالق خلق.. لأنه خالق!!

فهل هو خالق بالصدفة أم خالق مطلق؟

يحدث مثلا حين نقول لأحدهم : إن فلانا صنع كرسيًا.. ياله من نجارٍ ماهر ، فيعلق ساخرًا : هه.. إنها صدفة.. وهو ليس نجارًا ولا يفهم في النجارة! وربما يعجز عن صنع آخر أو لا يتقن صناعة غيره..

وكذلك مثلا لا يقال أن فلانا رسام لأنه رسم لوحة واحدة، فربما جاءت معه صدفة أو ربما لا يجيد رسم غيرها..

إن الإنسان لا يصدق عليه وصف الصانع إلا اذا كان متقنا لصنعته، والإتقان لا يأتي من أول مرة، فلا إتقان دون خبرة، ولا خبرة دون فعل ذلك مرات ومرات .

والصانع الذي لا يجيد سوى صنع الساعات فقط، هو صانع مقيد وليس مطلق الصنعة، إذ هو لا يجيد صنع غيرها من الصناعات الاخرى..

وربما تكون أول ساعة جاءت معه صدفة ثم كررها تقليدًا.. فهو لا يستطيع حتى أن يطور فيها.

هذا هو الصانع المقيد.

ولكن إن كان يصنع الساعات والماكينات والسيارات والدراجات و.. و.. و... فهو إذن الصانع دون تحديد ودون قيد.. هو الصانع المطلق..

هكذا الله الخالق العظيم.. خالق مطلق؛ لأنه خلق أنواع متعددة

وهذا جواب السؤال لماذا خلق؟ ولماذا تنوعت مخلوقاته؟

خلق لأنه خالق.. كالرسام هو رسام لأنه يرسم

وتنوعت مخلوقاته لأنه خالق مطلق، وليس خالقا بالصدفة، ومخلوقاته بلا حدود..

***

٧ - ما الغاية من تنوع الخلق؟

للجواب على هذا السؤال نعود إلى الرسام الذي بدأنا رحلتنا عند لوحته..

ودعونا نقول أنه رسام حر، طليق من كل قيد بلون أو فن محدد..

فهنا ستجده يرسم لوحة سريالية، ولوحة تكعيبية، ولوحة واقعية يحاكي فيها الواقع، ويرسم "بورتوريهات" أو لوحات لأشخاص.. وهكذا تدفعه حاسة الإبداع الحرة إلى التنوع..

النجار مثلا، سيصنع سريرا للنوم، وكرسيا للجلوس، ومنضدة للطعام و.... إلخ

والكرسي نفسه مثلا؛ ستجده يصنع كرسيا بأربع دعائم "أرجل"، وثان بدعامتين عريضتين، وثالث بدعامة واحدة مربعة أو مدورة أو مثلثة.. إلخ.

فالمبدع الحر الطليق من كل قيد يكون متنوعا في إبداعه وصنعته.

إذن العقل يثبت أن الخالق الواحد قادر على تنويع الخلق، وأن الغاية وراء ذلك هي ثبوت الصفة المطلقة..

لذلك نجد في الكون تنوع إبداعي في الصنعة عجيب: فمن حيث المواد اكتشفنا حتى الآن منها ما هو : صلب وسائل وغاز

ومن حيث الحس: هناك المخلوقات الصماء عديمة الحس، وهناك مخلوقات بحواس خمس، أو أقل أو أكثر!

ومن حيث الفكر : هناك مخلوقات عاقلة، وأخرى غير عاقلة.

فالخالق خلق الشيء، وخلق الشيء الذي ضده، وخلق الشيء بين الشيئين وهذا من قمة الإبداع والإعجاز..

فالخالق هنا سبق العقل المفطور على حب الفضول.

فإذا قلت، هل يستطيع الخالق أن يخلق كائنا أصم الحواس؟ كان الجواب نعم، الجماد مثلا.

هل يستطيع أن يخلق كائنا له حواس؟ كان الجواب نعم، الإنسان والحيوان مثلا.

هل يستطيع أن يخلق كائنا دون عقل؟ كان الجواب نعم، الحيوان مثلا.

هل يستطيع أن يخلق كائنا عاقلا؟ كان الجواب نعم، الإنسان مثلا.

***

والآن السؤال الأخطر:

الأصل أن الخالق أو الصانع يخلق مخلوقات تطيع أمره قهرًا – أي رغم أنفها - فهل يستطيع أن يخلق مخلوقا يكون حرًا في اختياره، أن يطيع أو لا يطيع؟

الجواب نعم، أنت وأنا مثلا.

***

جدير بالذكر أن نسجل هذا الملاحظة المنطقية هنا في هذا الموضع من رحلتنا؛ وهي ملاحظة: أن الصانع سيد صنعته، أي أن الخالق سيد خلقه (إله)، لأنه فوق أنه خلقهم، فهو الذي وضع لهم قوانين الحركة والاختيار، فهو صاحب الأمر والنهي في الكون، فكل شيء خاضع له وليس حرًا طليقًا بعد خلقه..

ولا يغير من كونه سيدا "إلها" على خلقه، أن يكونوا مختارين في الاستجابة للطاعة أو عدم الاستجابة، لأن هذا الاختيار نفسه من صنع الخالق.

***

٨- هل يجوز منه التواصل مع خلقه؟

والآن سؤال يطرح نفسه :
هل يمكن للخالق "الصانع" التواصل مع خلقه "صنعته"؟

بالطبع يمكن للصانع أن يتواصل مع صنعته فهو الذي يعرف طريقة عملها، ويستطيع توجيهها عند حدوث خلل.. وهو الذي يصونها عند العطب. وهذا هو التواصل، فإذا وجدت من يدعي أنه صنع شيئا فقل له :

- قم بتشغيله.
- فإن رد : لا أقدر!
- فقل له حسنا، لقد أصابه العطب أيضا فقم بصيانته!
- فإن رد : لا أقدر!

دل ذلك على أنه لا توجد صلة ولا تواصل بين مدعي صناعة الشيء وبين الشيء المصنوع، الأمر الذي يجعلنا نشكك في أنه هو "صانع ذلك الشيء".

***

والخالق الأعظم ليس أقل من المصانع أو الشركات الكبرى، التي أوجدت فروعا لصيانة منتجاتها، ولم تترك ذلك للحرفيين المستقلين أو هواة تصليح الأشياء .. ليكونوا بذلك على تواصل دائم مع منتجهم، ومع عملائهم أيضًا.

***

إن كل شيء قابل للخلل في وظيفته، أو قابل للإنحراف عن أداء مهمته، يكون صانعه قادر على إعادته إلى هيئته،أو إعادة توجيهه إلى حالته الصحيحة لإداء مهمته..

فإذا كان تواصل الصانع مع صنعته حقيقة، فتواصل الخالق مع خلقه حقيقة، أو على الأقل هو ممكن عقلا وغير مستحيل..

***

فهل حدث التواصل فعلا بين الخالق والمخلوق؟

وما هي غاية التواصل؟

وهل يوجد دليل على حصوله؟!

دعونا نتفق أن كل صانع يختار الطريقة التي يتواصل بها مع صنعته، فمن يصنع تمثالا مثلا من الصلصال، ويريد أن يضع يده عليه، لاشك أنه سيختار الطريقة والكيفية والموضع من التمثال بحيث تناسب لمسة يده طبيعة التمثال، ولا تصيبه بضرر، لأنه أعلم بمواضع قوته وتحمله ومواضع ضعفه وعدم تحمله..

كذلك مثلا كل أم لديها الطريقة الملائمة لحمل ابنها بين ذراعيها، طريقة لا تلائم وضعها كأم بقدر ما تلائم الطبيعة الضعيفة للطفل ذاته، بحيث أنها إذا حملت طفلا آخر قد تحمله بطريقة أخرى..

فخالق "الإنسان" يتواصل مع الإنسان بالطريقة التي تلائمه ويستطيع تحملها..

ويتواصل مع غيره من المخلوقات، وكلٌ حسب طبيعته ..

***

فإن كان التواصل ممكن عقلا، فما هي غايته؟

عقلا.. إذا كانت غاية الصانع من التواصل مع صنعته هو التدخل النافع لصالح صنعته..

إذن يكون تواصل الخالق مع المخلوق غايته النفع لذلك المخلوق لا الإضرار به

فإذا طرق بابك رجال يخبرونك أنهم حضروا من أجل الصيانة الدورية لجهاز كذا الذي اشتريته، وبعدما قاموا بالعمل فيه وجدت الجهاز أصبح أسوء من ذي قبل، لاشك أن أول شيء سيخطر إلى بالك ويصيح به لسانك: هؤلاء لا يمكن أن يكونوا تابعين للشركة الأم، إنهم نصابون يرتدون "الأفرول" الخاص بالشركة.

***

هل يوجد دليل على حصول التواصل بين الخالق والمخلوق؟

الجواب: ذكرنا أن التواصل ممكن في العقل وغير مستحيل الحدوث.. وبالتالي لنعلم إن كان حدث حقا أم لا فعلينا أن نستقرئ الواقع والتاريخ، بحثا عن تواصل مفهوم، أو يمكن فهمه..

إن حجرا يسقط من السماء قد يكون هو التواصل إن استطعنا فهم مغزاه والنفع الذي يباشره في حياة المخلوقات – ويعنينا هنا خاصة: الإنسان.

***

إن شفاء إنسان مريض بدون تدخل طبيب، يسمونه معجزة، ولكن ألا يمكن أن يكون ذلك حدث بواسطة خالق الإنسان؟!

بالطبع هو كذلك.

إنك مثلا إذا رأيت قطة مرسومة في لوحة بدون ذيل، ثم في مرة أخرى نظرت إلى اللوحة فوجدت لها ذيلا، ما أول شيء سيخطر على بالك؟

أن معجزة حدثت؟ أم أن الرسام قام بجعل ذيل لها؟

بالتأكيد ستفكر في أنه الرسام، لأن تلك لوحة مرسومة ولها رسام

كذلك الإنسان، إنه مخلوق، فإذا شفي من مرضه فجأة، فهذا لأن له خالقًا

***

إذن التواصل بإصلاح وصيانة الذات يحصل فعلا

فهل حصل صيانة في التوجيه عند فساد أفعال الإنسان؟

نقول :

إن شأن صورة هذا التدخل في صيانة أفعال الإنسان بالتوجيه أما يحدث قهرا، بأن يجد الإنسان أن هناك قوة ما هي التي تحركه وتدفعه للفعل دون إرادة منه!

وإما أن يتلقى أوامر بالتوجيه السليم (أفعل، ولا تفعل) وعليه هو تنفيذها بإرادته.

وفي العقل.. إن كلا الأمرين أو الصورتين جائزتي الحدوث، لأننا نرى ذلك في الأشياء المصنوعة ممكنا وواقعا.

ولكن بالنسبة للإنسان، فلن نستطيع تقديم دليل مادي على تلك القوة التي حركته من الداخل قهرًا دون إرادته..

(رغم أننا رأينا كيف يستطيع إنسان بقواه العقلية الخارقة أن يسيطر على إنسان أخر ويدفعه لفعل ما دون إرادته مثل ما يتم عبر (التنويم المغناطيسي)، ولكن طبعا لا يمكننا تقديم دليل مادي ملموس على تلك القوة التي استخدمها الإنسان المنوم)

ولكن نستطيع تقديم دليل مادي على حدوث الصورة الأخرى وهي تلقيه توجيها من الخالق (أمرًا، أو نهيًا).

لأن ذلك التوجيه يتلقاه الإنسان بحاسة من حواسه كالسمع أو البصر

واختصارا لرحلة البحث:

فإن العقل يقول أن أبلغ السبل للتواصل مع الإنسان السميع البصير أن تتواصل معه بلغة الكلام (الوحي المسموع) أو المشاهدة (المعجزات المرئية).

ولقد رأينا وعلمنا أن بشرا ادعوا حصول ذلك، وأن الخالق تواصل معهم تواصلًا تم إدراكه بحاسة من الحواس.

ولما كان التواصل جائز عقلا، فلا سبيل لتكذيب من يدعي لنا حدوث ذلك له من حيث المبدأ أي القبول العقلي.

ولكن لمعرفة إن كان هذا التواصل حقيقي أم أوهام مرضية، نقول له حسنا هذا جائز ولكن..

اثبت لنا قبل ذلك أمرين مهمين :

الأول: أن الذي تواصل معك حي، عليم، قدير، سميع، بصير.. إلخ من الصفات التي علمنا أنها يجب أن تكون في الخالق، بالإضافة إلى كونه غير مرئي لأنه ليس بمادة ولا جسم ولا يجوز له الحلول في مادة أو جسم.

فلا يقول لنا أحدهم لقد سمعت الله يناديني أن أُحضر له كوب ماء كي يشرب!!

أو يقول رأيت الله واقفا أمامي ويقول لي كذا!!

لأن هذه أفعال لا تجوز في الخالق، لأنها تعبر عن احتياج، وحلول، وكلاهما باطل لا يجوز..

الثاني: أن يكون هذا التواصل "نافع" وصالح للإنسان ،لأن الخالق لن يأمر مخلوقه بفساد أو ضرر.

مثال:

وقف أحدهم وصاح :

الأستاذ محمد الطويل، معلم الفصل يطلب منكم عمل الواجب المدرسي..

فعلق عليه أحد التلاميذ قائلا :

- ليس عندنا معلم فصل اسمه: محمد وصفته طويل! إنك مريض متوهم سواء كنت ما تطلبه لنا نافع أو غير نافع.

مثال ثان: صاح أحد ثان قائلا :

- الأستاذ محمد القصير معلم الفصل، يطلب منكم تمزيق كتبكم المدرسية

فرد أحد التلاميذ :

- صحيح أن معلم الفصل اسمه محمد وأن صفته قصير كما ذكرت....

ولكن يستحيل أن يطلب منا تمزيق الكتب المدرسية، إنه لن يطلب منا فعل ضار وفاسد مثل هذا الفعل!!

مثال أخير :

صاح آخر هذه المرة وقال :

- الأستاذ محمد القصير معلم الفصل، يطلب منكم استذكار دروسكم جيدا وعدم إضاعة الوقت.

هنا يكون الخبر قد صادف الحقيقة، ولا مجال للاتهام.

***

فمن يدعي أن الخالق "الله" تواصل معه، نقول نعم هذا جائز في العقل، ولكن حتى نصدق أن هذا حصل في الواقع أخبرنا عن شيئين :

أولاً: ما هي صفة إلهك؟!

ثانيا: الذي أخبرك به وطلبه منك هل هو نافع أم فاسد؟!

إن كان إلهك متجسمًا، فهو ليس الله على أية حال.

وإن كان الذي يطلبه فاسدًا، فالله لا يأمر بالفساد على أية حال.

***

خلاصة رحلتنا حتى الأن:

يوجد خالق، ليس من طبيعة مادية، خارج المخلوق، لا يدرك بالنظر، ينبغي أن تكون فيه من الصفات القدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر وأنه هو الأول وهو الآخر، وأنه رحمن ورحيم ورقيب وحسيب وخبير وعدل...إلخ من الصفات الإيجابية، وأنه يخلو من كل صفة سلبية "شريرة"، وأنه السيد "الإله"، وأنه يتواصل مع خلقه بطريقة ملائمة لطبيعة المخلوق، وأن تواصله تواصلا اصلاحيا ذا نفع وليس بفاسد.

***

هكذا عرفت الرسالة

١- ما هي الرسالة؟

توصلنا في رحلتنا داخل أروقة هذا الكتاب إلى أن تدخل الخالق سبحانه وتعالى في حياة الخلق تدخلا إصلاحيا نافعا.

من هنا يجب أن تكون الرسالة الإلهية رسالة إصلاحية؛ لأن الله لا يتدخل بالفساد ولا يأمر بالفساد.

ويجب أن تكون موائمة لحال المجتمع، وحال الأشخاص المخاطبين بهذه الرسالة، فتعالج عيوبهم وتردهم عنها، لا أن تزيد في هذه العيوب..

فإذا رأينا رسالة منسوبة إلى الخالق؛ تأمر بالفحشاء، فيجب أن نردها على صاحبها، ونكذبه ونكذب بها، فالله لا يأمر بالفحشاء..

وقبل كل هذا يجب أن تكون صادرة عن إله بحق، والإله لا يكون إلها بحق إلا إذا كان متنزهًا عن كل عيب ونقيصة، أو وصف أو فعل غير مقبول ولا جائز في العقل، لأن العقل هو الحجة على سلامة الإيمان.

وهذا شيء حرص عليه دين الإسلام مثلا حين جاء فيه:

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ الآية ٨٢ سورة النساء

ولم يكن هناك قرآن سابق أو كتاب سابق لدى العرب يقيسون عليه، ولكن لديهم عقل يدرك النواقص والعيوب.

***

ولأن هذا الكتاب لم يُقصد به أن يكون موسوعة للأديان، فسوف أقتصر فيه على نظرة على الأديان السماوية حسب ادعائها لنطبق عليها ما توصلنا

إليه من بديهيات عقلية توصلنا إليها في رحلتنا البحثية عن الخالق وصفاته وكلامه.

***

(من الأن لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله ومع الناس وقدرت) سفر التكوين ٣٢ :٢٨

النص السابق من العهد القديم للديانة اليهودية، وهي ديانة سماوية الأصل كما يعلم الجميع..

ولكن نحن لا نحتاج إلى وحي من السماء ليخبرنا أن هذا النص يستحيل أن يكون صادرا من السماء، لأنه يصور الإنسان "إسرائيل" يصارع الله ويغلبه!!

أيضا النص التالي:

(فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الارض، وتأسف في قلبه) التكوين ٦:٦

في هذا النص لم يستوقفني –شخصيا – أن يكون الإله له شعور، يحزن، يفرح، يغضب، يرضى، بقدر ما استوقفني أنه "تأسف" أي ندم، والندم لا يكون إلا على الأخطاء.. فهل تظنون أن إلها حقيقيا يخطئ؟!!

إنني لست في حاجة لانتظار وحي آخر يأتي بعد ألف أو ألفين أو ثلاثة آلاف عام، أو حتى لا يأتي.. كي أوقن أن ذلك النص ليس صادرا عن إله حقيقي!

***

(المسيح نظر إلى شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئا فلما جاء إليها لم يجد شيئا لأنه لم يكن وقت التين) إنجيل مرقص١٣:١٢

فهل الله يجهل وقت التين؟

هل الله يتجسد؟!

هل الله ينقسم أو يتكاثر فيكون له ولد؟!

أمور لا تحتاج إلى انتظار وحي كي لا يقبلها العقل، وإذا كانت رسالة ما، فشلت في إثبات مصدرها "أنها من عند الله" فلا جناح عليَ إن إلتفتُ عن مضمونها، أوامرها ونواهيها، بغض النظر عن نفعها أو ضررها!

وهل يُلام الإنسان إن رفض نصائح فني إصلاح تلفزيونات، لأنه لا ينتسب إلى الشركة الأم التي قامت بتصنيع جهازه؟!

كذلك أنا..

***

ولا يتبقى من الرسالات السماوية معنا غير.. **الإسلام**:

﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد﴾ سورة الإخلاص

العقيدة الإسلامية في الخالق سبحانه كما نعلم، تنزه الله عن الشبيه والمثيل، وهذا يصادف بديهية أن الله ليس بمادة ولا جسم كما نعرف من المواد والأجسام.

كما أنه قوي لا يغلبه أحد، قادر، عليم، حكيم، خبير، أول، آخر، حي بذاته لا يموت، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار.

إنه الله الخالق الذي توصلنا لمعرفة صفاته بالعقل نجده هو ذاته في الإسلام، ولا أظن أحدًا أيًا كان يستطيع التشكيك في ذلك!

هو الخالق إذن، هو الإله الحقيقي إذن.. دون تعاطف أو انحياز.

***

ولكن.. قد يستوقفنا أحد الناس ويقول :

قبل أن تقول انتهينا من التحقق من توافر الأمر الأول وهو صفات الإله، ومن ثم تنتقل إلى مضمون الرسالة، فإننا نجد من صفات الإله في الإسلام "**المنتقم**"!

كما أننا وإن وجدنا من أسمائه الحسنى "**النافع**"، فإن من أسمائه الحسنى في الإسلام أيضا نجد "**الضار**"، وقلت أن الإله لا يأمر بالفساد أو بما يضر؟

كما أنه أيضًا يحب،ويكره، يرضى، ويسخط ويغضب

فهل هذه صفات توافق العقل عندك أم لا؟!

الجواب:

حسنا.. في الإسلام يقولون الله منتقم، يحب، يكره، يغضب، ومن أسمائه "الضار" كما ذكرت..

فهيا نفتش عن معنى ذلك عند أهل الإسلام..

***

يا أهل الإسلام، ماذا يعني عندكم أن الله منتقم؟

يقول أهل الإسلام : إن الله ينتقم من الظالم لصالح المظلوم. كإنتقام الدولة من المجرمين لصالح المجني عليهم مثلا

والعقل يقول : إن الانتقام من أهل الإجرام يعني إقامة العدل

إذن الانتقام هنا = تحقيق العدل.

بالتالي يكون: منتقم = عادل، والعقل يؤمن أن الإله عادل.

ومن ثم يكون الانتقام هنا ليس عيبا ولا نقيصة..

أنه لا ينتقم لنفسه لأنه لا أحد يمكنه أن ينال من الله بضرر ، فهو هنا سبحانه منتقم للغير وهم الأبرياء ، من الغير الآخر من ذوي الإجرام.

***

يا أهل الإسلام، ماذا يعني عندكم أن الله يحب ويكره ويغضب؟!!

يقول أهل الإسلام: إن الله يحب فعل الخيرات ويرضاه، ويكره فعل الفواحش ويسخطه، ويغضب إذا انتُهكت الحقوق ووقعت المظالم.

والعقل يقول : إن هذا الإقتران بين فعل الطاعة وحصول الرضا ، وبين فعل المعصية وحصول الغضب ، هو من قبيل إقتران الفعل بالجزاء فالرضا والغضب ، ثواب وعقاب

والحب والكره ، ثواب وعقاب

والثواب والعقاب من مقتضيات صفة العدل ، التي تقتضي عدم التسوية بين متضادين

ولكن تقع الشبهة في عقول المستمعين عند سماع كلام القرآن الكريم وهو يتحدث عن محبة الله وكراهيته ويظن أنه إله ذو مزاج ،وبالتالي يخضع لمؤثر العاطفة ، وهذا خطأ ، في نظرنا ..

وانما جاء التنويع في التعبير عن الثواب والعقاب بألفاظ مختلفة لمناسبة حال المستمع ، فهناك من يرى في الغضب عذابًا أقوى من عذاب النار ، وهناك من يرى في الرضا نعيمًا يفوق نعيم جنة الخلد

***

يا أهل الإسلام، ماذا يعني عندكم أن الله هو "الضار"؟

يقول أهل الإسلام : أي الذي يملك منع الضُر، لمن أراد له نفعا، فإذا منع ضُرا، لم يقدر أن يغلبه عليه أحد.

والعقل يقول : من يملك منع شيء، صار هذا الشيء خاضعا له.

فإذا كان حتى الضرر خاضعا لله، فلا قوة لأحد إذن فوق قوة الله، وليس ذلك عيبا ولا نقيصة أن تغلب قوته قوة أهل الضُر، فيكون مقاليد كل أمر في

الدنيا بيده وخاضعا له..وهذا هو الإله الحق لا يقدر عليه أحد وهو يقدر على كل أحد.

***

إذن ليس في "الإله" الذي يقدمه لنا الإسلام أي عيب أو نقيصة.

وهذا ينقلنا إلى المبحث التالي وهو مضمون الرسالة ، والتي نجدها اشتملت على :

- الدعوة إلى معرفة الله وتوحيده وطاعته.
- الاعتبار بقصص الأمم السابقة.
- الحض على مكارم الأخلاق وما يتعلق به من أوامر، واجتناب الفواحش والاثم ما ظهر منه وما بطن، وما يتعلق به من نواهي وزواجر.

وهي عناوين لموضوعات نافعة وصالحة في مجملها.

والآن نحاول أن نلقي مزيدا من الضوء على تلك الرسالة في الصفحات التالية..

***

٢- ما هو الإسلام؟

إن الإسلام دعوة إلى مكارم الأخلاق، وإلى السمو الروحي والأخلاقي، والاجتماعي..

فهو دعوة إصلاحية.. جاءت لإصلاح الخلل والعطب في حياة الإنسان ومسلكه، لتضع من الضابط الأخلاقي معيارا ليقيس عليه الإنسان أفعاله: فهو ببساطة يدعوك إلى أن تفعل كل ما هو أخلاقي، وأن تجتنب غير الأخلاقي، وأن تجتنب كذلك كل ما يضر بأفراد المجتمع الآخرين.

"إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" حديث شريف

ودعوة الأخلاق، دعوة تربوية، اجتماعية، وقد راعى الإسلام في ذلك أنه جاء ليغير سلوكا بشريا اعتاد الانحراف، وتغيير السلوك الذي أصبح عادة، لا يتم قسرا، بل بالتدرج، حتى يعتاد الفرد سلوكا جديدا منتزِعا السلوك القديم،

لذلك اتبع الإسلام منهجية التدرج في نقل الفرد و المجتمع، من سلوك إلى سلوك، ومن حال إلى حال..

***

فكما نعلم أنه لا يمكنك تطبيق دعوة مثالية دفعة واحدة.. إنما عليك بالتدرج. فدعوة احترام العقل الإنساني وتكريمه كمثال.. تعني إلغاء كل ما يشكل عدوانا عليه وبشكل فوري وحاسم.. ولكن لانزال هذه الدعوة إلى الواقع يحتاج الأمر إلى.. تدرج..

فتحريم الخمر مثلا.. جاء بعد تدرج في الأحكام لأنه هنا يستأصل عادة متمكنة في النفوس.

وقد يطول زمن التدرج وقد يقصر حسب المجتمع وظروفه وعوامله الاقتصادية والاجتماعية، ومدى سرعة استجابتها للتغير والتطور..

فالقضاء على عادة الخمر أخذ فترة زمنية قصيرة.. قياسًا إلى عادة الرق؛ نظرا لتوغلها وتشعبها وارتباطها بعوامل أخرى..

***

الرق واستعباد الإنسان في هذا العصر لم يكن مجرد فكرة، بل هو عصب النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في ذلك الحين.

والرقيق هو العنصر الإيجابي في الاقتصاد في ذلك الزمن (الأيدي العاملة)، وهو الرفاه الاجتماعي (رقيق المنزل)، وهو كماليات التسري (ملك اليمين).. وهو رمز الثقل السياسي (رقيق الأسر).. إلخ.

فالدعوة الإسلامية التي تقوم على فكرة تكريم الإنسان، وأن الناس سواسية حتى تتم، كان عليها أن تنتزع الرقيق من أسر الاستعباد انتزاعا متدرجا، رحيما بالسيد والعبد، نعم الأمر مثل التدخين، فكما لا تستطيع منع المدخن من التدخين فورا، كذلك العبد لا يمكنك انتازعه من الرق فورا دون تمهيد الظروف لذلك.. حتى تضمن استجابة الناس إليه.

فقد حاول "سبارتاكوس" في دولة اسبرطة الإغريقية تحرير العبيد فورا، وفر هاربا وكون جيشا لمجابهة المجتمع بالقوة، فكانت النتيجة أن تعرض للهزيمة وظل الرق سائدا لآلاف السنين من بعده!!

حدث ذلك قبل بعثة النبي محمد كما حدث بعد بعثة النبي محمد بمئات القرون، فالحرب الأهلية في الولايات المتحدة الأمريكية كان من أهم أسباب اندلاعها هو إلغاء الرقيق.

ورغم نجاحها في إلغاء الرق بعد هذه الحرب، لكن ظل التمييز العنصري قائما لمائة عام أخرى وكان تمييزا يتم بموجب القانون، فكان السود طوال هذه المدة كالرقيق للنظام بأكمله، فمن بين القوانين مثلا قانون ينص أنه على الرجل الأسود أن يترك مقعده في المواصلات للرجل الأبيض!!

***

فالتدرج إذن هو الحل للقضاء على هذه العادة، لأننا نستأصل عادة اجتماعية، ونغير نظاما اقتصاديا وننشئ مجتمعا جديدا، فوجب أن يكون الحل هادئا متدرجا، فقام الإسلام في سبيل ذلك بالآتي :

أولا: تمليكهم أهم الحقوق الإنسانية

١- **الكرامة الإنسانية**، وسماهم بالإخوان في الدين، وساوى بينهم في الوقوف بين يدي الله، فكان العبد الأسود يؤم السادة الأحرار في الصلاة!!

في حين كانت أمريكا حتى النصف الثاني من القرن العشرين تجعل للسود كنائس منفصلة عن البيض

٢- **إثبات نسب الأبناء** الذين يولدون من الأَمَة، ومنحها حقوقا قريبة من حقوق الزوجة الحرة.

٣- **حسن المعاملة**، كأن فرض للرقيق حق في مال سيده، من كسوة وغذاء وسكن على أن يكون من نفس ما يحصل عليه الرجل الحر،لا أن يلبسه من ثيابه البالية.

٤- **النهي عن إكراه الإماء على ممارسة البغاء..!**

***

وهنا قد يسأل أحدهم سؤال : **لماذا يبيح الإسلام للرجل أن يطأ ملك يمينه؟**

الجواب: لقد جاء الإسلام وهذا الوضع قائم، ومباح، ومشروع، وبلا حقوق.... ومنع المباح المتأصل في النفوس كما ذكرنا لا يكون إلا بالتدرج..

هذا التدرج جاء من خلال منحهم حقوقًا تساهم في رفع شأنهن أولًا، وتمهد لعتقهن ثانيًا..

كيف ذلك؟

ملك اليمين لا تباع، فصارت بذلك أرقى من الجارية.

ملك اليمين لا تورث كالمال فتحرم على أبناء الزوج.

ملك اليمين التي تلد ولدا، يكون له كامل الحقوق التي لأبناء سيدها من زوجته الحرة ،وهذا مهد أيضًا لعتقها.

ملك اليمين تصبح حرة بوفاة سيدها.

هذه الحقوق سمحت لأبناء ملك اليمين أن يصبحوا خلفاء على المسلمين، فالخليفة المأمون أمه ملك يمين فارسية، والخليفة المعتصم بالله أمه ملك يمين رومية.

***

ثانيا : تمليك الرقيق أنفسهم "مكاتبة الأرقاء":

وهو نظام ابتدعه الإسلام، حيث سمح للعبد أن يشتري حريته من سيده بمال يدفعه على آجال "أقساط" وبذلك يصبح حرا.

***

ثالثا: تحرير رقبة عقوبة وصدقة:

يثير البعض شبهة عدم وجود نص محرم للرق، كدليل على رضا الإسلام به، وهذا استنتاج يجانبه الصواب لأنه بالنظر إلى طريقةمعالجة الإسلام لظاهرة الرق نجدها معالجة كفيلة بالقضاء عليها، وليس معالجة من شأنها العمل على إزدهاره..

لقد جعل من تحرير الرقيق قربة لله، وكفارة من الذنب، وهو تعويض أكثر من عادل لمن يريد التقرب إلى خالقه أو محو ذنبه !

فمن منظور قانوني أن إلغاء الرق يساوي في القانون نزع ملكية الأفراد ، لأن الرقيق هو في حقيقته مال (من الممتلكات) ونزع أحد الممتلكات يجب أن يصاحبه تعويض كما تفعل الحكومات ، وقد جعل الاسلام التقرب إلى الله، والتكفير عن الذنوب هو ذلك التعويض

ومن ثم ..يمكن القول وبحق .. أن المعالجة التي اتبعها الإسلام مع الرق هي نفسها التي تتبعها القوانين الحديثة في نزع الملكية الفردية ولكن بمعالجة دينية متدرجة ملائمة لواقع الحال.

***

ولكن فترة القضاء على الرق للأسف طالت لأن العبيد ظل هو العنصر الاقتصادي الأول في العالم، وليس في الدولة الاسلامية فقط

فتأخر انتهاء الرق جاء لأسباب عالمية لا دخل للإسلام ولا لبلاد المسلمين خاصة فيها..

مما سبق:

تبين لنا أن الإسلام دعوة أخلاقية إصلاحية، اتخذت من منهج التدرج وسيلة للإحلال والتجديد الأخلاقي، بحيث لم يكن أنفع للمجتمع في حينها من ذلك الأسلوب، والذي أصبح منهجا عالميا في التربية السلوكية "منهج التدرج".

***

٣- الإسلام والنفع الخاص والعام

إن الإسلام منظومة متكاملة تحرص على النفع الخاص للفرد كما تحرص على النفع العام وذلك من خلال إيجاد توازن بينهما.

النفع الخاص

حيث يعلي الإسلام من قيم الحرية، واحترام كل فرد للخصوصية، وحقه في الأمن والأمان.

"كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله" حديث نبوي

وتمتاز أحكامه (من حيث الحلال والحرام) بالمرونة وعدم التضييق ورفع الحرج عن الإنسان مع ضمان عدم إضرار الفرد بنفسه، وإن كان لن يضر غيره، كتحريم الانتحار، وشرب الخمر، والزنا.

***

النفع العام

ومن أهم المبادئ التي يحرص عليها لتحقيق التوازن بين النفع الخاص والنفع العام هو مبدأ : " لا ضرر ولا ضرار " حديث نبوي

فالإنسان بوصفه فرد في جماعة يحتاج إلى التوفيق بين نفعه الخاص وحريته المحترمة، وبين نفع المجتمع وحقوقه التي تحافظ عليه وعلى قوة نسيجه وتماسكه.

فمثلا حق الإنسان في زيارة القبور كان منهي عنه في أول الإسلام خشية من بقاء العادات الوثنية في المجتمع، ثم أبيح هذا الحق بعدما تمكنت العقيدة الجديدة في النفوس.

كذلك حق إدخار اللحوم

حيث نهى رسول الله عن ادخار اللحوم في زمن الجدب، حفاظا على فقراء المجتمع، ثم عاد وأباح الادخار.

كذلك حظر حق السفر على المرأة دون محرم الذي انتقل من الحظر إلى الإباحة – وفق فتاوى دار الافتاء المصرية - لأن الحظر كان قرين ظرف اجتماعي متعلق بـ"توافر الأمن" .

***

٤- لو لم أكن مسلما.. لكنت مسلما دون أن أدري..!!

الإسلام ليس دينا يضاف الى الإنسان ويحمله على عاتقه، كمن يحمل عبئا ثقيلا.

إنه مثل أن تدخل غرفتك، فتجدها مرتبة ومنسقة، فتدرك على الفور أن أمك العاقلة "الحكيمة" هي التي قامت بترتيبها، وليست أختك الصغرى المشاغبة "العشوائية"..

هكذا هي عقيدة الإسلام .. لا تحمل عقلك أي عبء أو مشقة في محاولة قبول ما لا يقبله العقل، إله ينسل، أو يتزوج، أو يصارع الإلهة الأخرى فوق جبال الأولمب!

إنه يشبه أيضًا، كما لو أمسكت ورقة وقلما، وأردت أن تصيغ لنفسك قواعد حياتية، فجاءت كالتالي :

(لن أزني - لن أسرق - لن أكذب - لن أخون - سأطيع والدي - سوف أبر والدتي - سوف أجتهد في عملي- أساعد الفقير...الخ)

يا للمفاجأة!!.. أنها هي نفسها الإسلام..

وربما يخرج لي شخص ويقول لا يا سيدي، أنا سأكتب أمورا مختلفة، تلائم مزاجي، سأكتب مثلا- :

(لن أكون محترمًا بعد اليوم فهذا العالم لا يصلح معه الإحترام ، سأكون أنانيًا أعمل لأجل اشباع حاجتي فقط وليذهب الجميع إلى الجحيم، وأخيرا الاستمتاع ومصاحبة الجنس الاخر) فأين الإسلام في ذلك؟!!

موجود يا عزيزي لا تخف أو تقلق!!

كلاكما، أنت والإسلام تعلمان أن هذا سلوك خاطيء.

أنظر كيف أنكما متفقان!!

ولا تحاول أن تكذب على نفسك "الحلال بيّن والحرام بيّن " هكذا قال الإسلام... كيف؟!!

إن كل مضر بالجسد أو بالروح هو حرام في الإسلام.

وحرام عند كل إنسان سوي، عاقل، غير سفيه.

***

ذات مرة أخبرتني فتاة مسيحية أنها تريد أن تتحول إلى الإلحاد.

فقلت لها : هل لديكِ مشكلة مع مبدأ أن لكل فعل فاعل.. سواء أكنا نراه أم لم نره.

قالت : لا

قلت لها : هل لديكِ مشكلة مع التزام الأخلاق؟

قالت : لا

قلت لها حسنا أنتِ مسلمة ولا تدرين ذلكِ

قالت : ما الدليل؟

قلت : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ وقال له : قل لي في الإسلام قولا لا اسأل عنه بعدك أحدا، فقال النبي : "**قل آمنت بالله ثم استقم**"..

هكذا هو الأمر بكل بساطة..

أن الإسلام لا يكلف العقل مشقة في عقيدة أو في إلتزام الأخلاق.

أن الإسلام هو دين كل عاقل سواء علم ذلك أو لم يعلم، لذلك يقبل عليه المجتمع الأوربي بكل سهولة ويسر ما أن يتعرف عليه بنفس إقبال العرب في بدء الدعوة!!

في إحدى كتب سلسلة كيف أسلم هؤلاء؟ قرأت هذه القصة :

تقول إحدى الأمهات – ألمانية الجنسية – عشت طوال حياتي لا أفهم معنى التثليث، وعقلي لا يصدق ذلك، وقلت لنفسي إن كان ثمة رب فهو رب واحد دون كل هذه التعقيدات، فقط رب مثل أن هذه أم، وهذا أب وهذا أخ..

إنه فقط رب "اسم لواحد"

وتقول : ثم كنت أقف في المطبخ حين دخل عليَ ابني وهو طفل في العاشرة – وقال لي : ماما.. أريد أن أصبح مسلما..

شعرت بدهشة، ليس لمطلبه فأنا اعلم أن مدرسة طفلي بها اطفال مسلمون من عائلات ذات أصول تركية – ولكن الدهشة هي أني لا اعرف ما هو الإسلام.. فلم أعرف ماذا أقول له؟

ثم اشتريت كتبا عن الدين الإسلامي، لأعلم ما هذا الدين؟، حتى أستطيع أن أجيب ابني جوابا صحيحا..

واكتشفت وأنا اقرأ عن الإسلام وعن عقيدة الإسلام أني كنت مسلمة دون أن أدري.. طوال هذا الوقت وأنا مسلمة أؤمن بإله واحد ولكني لا أعرف ماذا أسمي ذلك الاعتقاد حتى عرفت أنه : الإسلام.

***

هكذا عرفت الرسول

١- معقولية الإرسال

عرفنا ما هي الصفات التي تنبغي في الإله "الخالق"، وعرفنا إمكانية التواصل بين الخالق والمخلوق، وعلمنا كيف يكون هذا التواصل تواصلا نافعا.

والسؤال الذي يفرض نفسه على بساط بحثنا الآن هو :

هل كان لابد من رسول؟

لماذا لم يتواصل الله مع البشر مباشرة؟!

الجواب :

إن الله سبحانه لا يُلزمه شيء، ولا يعوزه شيء، فحين يختار سبحانه اختيارا موجها للبشر، فلابد أن نعلم أنه في صالح البشر، وأنه لا يصلح لهم إلا هذا..

فهذا هو المعلم داخل الفصل، إنه لا يقول لتلاميذه قلدوني، بل يقف ممتدحا أشد تلاميذه اجتهادا، طالبا من بقية التلاميذ أن يكونوا مثله

***

والإنسان يسهل عليه اتباع من يشابهه في جنسه، لأن هذا الشبيه يمثل له النموذج الذي يحتذي أفعاله، كما أنه يكون حجة عليه، وأنه يستطيع الامتثال للأمر والنهي..

﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**﴾ الأحزاب آية ٢١

فعقلا ومنطقا، يجب أن يكون الرسول من جنس القوم، بني آدم مثلهم

وأن يكون بلسانهم، أي ليس أجنبيا عن القوم الذين أرسل لهم، حتى يفهمون عنه ما يقول ، وإلا كان فتنة لهم ، حيث يشق عليهم إتباعه والإقتداء به ، وحينها يجد المبطلون مدخلا للتشكيك في معقولية الإرسال

﴿**ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون**﴾ سورة الأنعام آية ٩

***

٢- شخصية الرسول

إن الله لا يختار عشوائيا، إذ لابد في كل رسول أن تتوافر فيه من الصفات ما تؤهله لاختياره للرسالة من الصفات الخلقية، بل والصفات الجسمانية إذا ما اقتضت الرسالة ذلك.

إن الأمر يشبه اختيار أحدنا لأحد الأفراد لأداء مهمة ما..

فإن أردت اختيار شخص لتبليغ خبر فلن تختار الكذوب.

وإن أردت اختيار شخص لتوصيل هدية ما، فستختار الأمين.

وإن أردت اختيار شخص لنجدة أحدهم، فستختار القوي.

***

فقد كان موسى عليه السلام نبيا قوي البينان الجسدي، والمهمة المنوطة به هي إخراج بني إسرائيل من مصر وقيادتهم في دروب الصحراء حتى عودتهم إلى موطنهم الأصلي...

ولكن السبيل إلى ذلك هي محاولة إقناع فرعون وحاشيته، فطلب النبي موسى عليه السلام من الله سبحانه أن يشرك معه أخاه هارون في الرسالة، فهو أفصح منه لسانا.. وهكذا فإن كل مهمة تختار لنفسها من يؤديها..

***

فلما شاء الله سبحانه التخفيف عن بني اسرائيل، وقد قست قلوبهم على أنفسهم، اختار لهم رسولا سمحا، هينا، لينا، يرى كل الناس ضعفاء بحاجة إلى الرفق "**من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر** "..

وجاء الإسلام

جاء بلاغا ينزل من السماء "**رسالة شفهيه** "فتحتاج إلى مبلغ يكون صادقا، ويكون صدقه مشهورا بين الناس، حتى لا نضيع الوقت في نفي الاتهامات بالكذب نظرا للشبهات التي أحاطت بمصداقيته سابقا

***

والإسلام رسالة (لفظا ومعنى) من عند الله، فوجب أن يكون أمينا ومشهورا بالأمانة، وهكذا كان النبي محمد مشهورا بالأمين

فالرسالة هي من تختار رسولها، كما تختار المهمة شخص من يقوم بها.

***

٣- الرسول "محمد" ﷺ

بطاقة تعريفية: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن يعرب بن عدنان بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

فهو من أسرة ذات شرف ونسب، ينتهي بنبي الله إسماعيل بن نبي الله إبراهيم عليهما السلام.

فليس في نسبه مجهول ولا وضيع.

صفته في قومه:

اشتهر الرسول محمد قبل رسالته بوصف الصادق الأمين، فإذا علمنا أنه كان يعمل بالتجارة، فإن اشتهار تاجر بالصدق والأمانة أمر لا يتأتى بسهولة.

وهو ما يجعله مؤتمن على نقل الأخبار دون زيادة أو نقصان.

(وقد ظهر أثر ذلك جليا واضحا في القرآن الكريم، الذي جاءت فيه عدة آيات تلوم النبي وتعاتبه، بل وتبين ما يخفيه في صدره فلو كان محمد غير صادق ولا أمين لما وجدنا هذه الايات في المصحف)

حياته:

عاش الرسول محمد بن عبد الله في مكة، عرف معنى الفقد واليُتم مبكرا، مما جعله أكثر إحساسا بالضعفاء، ومارس التجارة في تلك البيئة الصحراوية التي قطعها ذهابا وإيابا في تجارته من مكة إلى الشام والعكس، قاد القوافل خلالها سالمة آمنة.. فهو إذن رجل جلد، قوي التحمل، حكيم في التصرف.. يعرف كيف يسير في دروب المخاطر ويخرج منها آمنا سليما.

وهي صفات تلائم "المهمة" التي سيكلف بها فيما بعد، مهمة سوف تجعله مضطهدا من قومه، يحاربونه ويسبونه، مما يحتاج إلى رجل صبور ذي قوة على الجلد والتحمل.

سلوكه الشخصي:

لم يحدث أبدا أن كان في ماضي الرسول محمد قبل البعثة ما يشين سلوكه وأخلاقه، ولم يظهر بعد البعثة أمرا قيل أنه فعله في الماضي..

بل كل ما يرميه به اعداؤه، رموه به بعد البعثة، بعد أن كان يمارس حياته كنبي.

ولا شك أن دل هذا على شيء، دل على الحقد والعداوة.

ستجدهم إن تزوج الصغيرة، اتهموه بحب الصغيرات، وإذا تزوج الكبيرة اتهموه بالطمع في مالها، وإذا دعى الناس لسماع القرآن، قالوا كاهن، وإذا أسلم معه أحد، قالوا لقد سحره محمد، وإذا قاد الجيش وانتصر قالوا محمد قاتل، وإذا هُزم قالوا، نبي ويهزم؟!

إذن على الباحث النزيه أن يكون شريفا في حكمه، صحيح أنه ليس لدينا مراجع حول حياته قبل البعثة، ولكن لدينا بعد البعثة فراغ تام من أي حضور للماضي، بشخوص من الماضي، يأتون ويقولون كان يفعل معنا كذا وكذا..

***

لم تأت بَغي "عاهرة" وتدعي ولو كذبا أنه كان يأتيها، ثم يأتي من يتهمونه أنه كان شهوانيا!!، كيف وقد ظل طوال أربعون عاما قبل البعثة لا يعرف سوى امرأة واحدة في حياته هي زوجته خديجة!

ولم يكن الاختلاف إلى الباغيات يعد خيانة، لشيوعه بين العرب، ولا يجدون حرجا في أن تنسب باغية إلى أحدهم ولدا من تلك العلاقة الماجنة!! لم يحدث لا قبل البعثة ولا بعدها شيئا من ذلك، بل كل الاتهامات جاءته بعد النبوة، الأمر الذي يؤكد أنها بدافع العداوة والحقد.

- أن النبوة تفرض على الشخص قيودا ولا تمنحه مزايا، فمن يريد أن يتكسب مالا أو شهرة أو نساء.. فليس السبيل إلى ذلك إدعاء النبوة بما تفرضه على صاحبها من بذل المال للفقراء والزهد في متع الدنيا.

ليس مخالفة الناس في دينها وسب عقائدهم وجلب عداوة المجتمع، وسعيهم إلى قتله واغتياله.

إن نظرة إنصاف، ستجعلنا نرى أن النبي محمد أعطى أكثر مما أخذ، ولا نعلم ماذا أفادته النبوة من شهوة ما كان يقدر أن يحصل عليها لولا النبوة.

حتى رئاسة العرب عرضوها عليه مقابل ترك دعوته، فرفضها واختار أن يبلغ رسالة الله سبحانه ولو كلفه ذلك حياته!

***

شبہات وردود

أضع الآن بين يدي القارئ الكريم بعض من الأسئلة التي كانت ترد في مجموعتي على موقع الفيس بوك "**مجموعة سؤال وجواب في أمور الدين**" وهي مجموعة تابعة لمجموعتي الرئيسية "**حوار مع صديقي الملحد بالعقل والعلم والإيمان**"..

وقد اخترت بعض من هذه الأسئلة أو الشبهات ذات الصلة بموضوع هذا الكتاب، ولعلي مستقبلًا إن شاء الله أجعل كتابا مستقلًا أجمع فيه كل الشبهات.. يكون جامعًا شافيًا للقارئ الشغوف بالمعرفة.

***

س-ما أهمية الدين وهل نستطيع أن نحيا بدون الدين؟

الجواب:

أولا قبل أن أجيبك لابد أن نعرف ما هو الدين أولا ثم نسأل عن أهميته، إن الدين هو علاقتك بالخالق، وهو يصف شعورك نحو الخالق، لأن هذا الشعور هو العقيدة التي يقصدها الدين ثم طاعتك له وهي تعبير عن ترجمة مشاعرك هذه إلى طاعة.

فالدين إذن هو شعورك ورغبتك نحو الخالق.. وبالتالي فإن أهميته تنبع من حاجتك أنت له، فأنت من يحتاج إلى الشعور بأنه يتصل بخالق الكون وأنه ليس موجود عبث وأن لك ربا تدعوه وقت الحاجة وتشكره (تتعبد له) على استجابته وإنعامه عليك.

فالدين تأتي أهميته من حاجتنا إليه، ومن نعم الله علينا أنه يعلم بحاجتنا فأنعم علينا بإرسال الرسل الذين يعلموننا كيف نشكر الله ونتعبده، ويزيلوا الشبهات الشركية والوثنية التي تراكمت بفعل عوامل تاريخية وأطماع طبقية، فحتى الكهان وبعض رجال الدين وأتباع الرسل مسئولون عن تضليل الناس عن عبادة الله بتقديسهم لما سوى الله مثل تقديس النصارى للمسيح، وقيل أن بوذا نبي ولكن قدسه تلامذته والله اعلم.

لذلك ظل الله ينعم على عباده بالرسل؛ ليحافظ على نعمة وجود دين صحيح على الأرض يكون حجة على الناس، حتى كانت الرسالة المحمدية والقرآن الكريم الذي لم يناله تحريف، وظل حافظا لنعمة الدين، فهو يوفر لك الشعور نحو الخالق الأوحد ويخبرك كيف تدعو الله وكيف تشكره؟!

كما أن الدين هو الوحيد القادر على إضفاء صفة الإلزام على الأخلاق.. فالقانون قد لا يعاقبك إن شربت خمرا سواء قليلا أو كثيرا.. وربما لن يعاقبك على الزنا.. وحتى الكذب فالقانون لا يعاقبك على الكذب إلا اذا سبب ضررًا للغير.. أما في الدين فهو يلزمك بألا تكذب سواء سبب ضررًا للغير أم لا؟ ويلزمك ألا تزني أو تشرب الخمر، حتى لو كنت في دولة لا تعاقب قوانينها على ذلك، أو حتى تسمح به، وهذه هي أهمية الدين للنفس والشعور وللأخلاق.

***

س: هل نجحت فكرة إرسال الرسل إلى البشر لهدايتهم ولإعلامهم بمن هو الخالق وما هو الدين الذى يجب أن يتبعوه؟

الجواب:

إرسال الرسل ليست فكرة أو تجربة كما تقصد.. فحين يفعل الإله شيئا فهو لا يجرب لأنه حكيم عليم.. والله سبحانه أجاب عن الحكمة من الرسل (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا).. أرأيت ماذا قال؟ "مبشرين ومنذرين".. ليقيموا الحجة على الناس، فلا يكون لهم مفر يوم القيامة أو مبرر للشرك أو الكفر، أما أن يكون القصد لهداية الناس جبرًا وقسرًا فهذا ليس من غايات الله سبحانه الذي قال في كتابه (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

فالهدف هو تبليغ الرسالة، وتعريف الخالق إلى جميع الناس بجميع مستوياتهم العقلية ودرجاتهم المعرفية، ثم هم أحرار بعد ذلك.

وقد استعمل الله رسله من أجل ذلك وأيدهم بأدلة تساعدهم على أداء مهمتهم وتصديق الناس لهم.

فموسى عليه السلام استخدم معجزة تحويل المادة من شكل إلى شكل (كالسحر) ولكنه تحويل حقيقي لأن المحول هو الله، لذلك أدرك السحرة أنه ليس بساحر فكانوا أول من صدقه وآمن به.

وفي الإسلام نجد أن معجزة رسوله ودليل تصديقه هو العقل نفسه، فحين يقول القرآن للمشركين ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾.

إنهم لم يروا كلام الله قبل ذلك، ولكن معناها أن العقل يعرف كيف تكون صفة كلام الله؟ كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

كما أنه سيكون دعوة لمكارم الأخلاق..

وبالتالي الرسول بشير ونذير وحجة على الناس؟

﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد﴾ سورة إبراهيم آيه ٥٢ ، وليس مشروع أو تجربة لهداية الناس ﴿إِن الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ سورة البقرة آية ٦ ، فالله سبحانه عليم بأن هناك من لا يؤمن رغم إنذاره.

فالبلاغ هو الغاية ﴿وما عليك إلا البلاغ﴾،سواء آمنوا أو لم يؤمنوا.. لأن الله لو كان يريدنا جميعًا مؤمنين لكان أجبرنا على الإيمان، ولكنه يبلغنا ويبشرنا وينذرنا ثم الناس بعد ذلك.. أحرار في الإيمان !

أما عن الدين الذي يجب أن يتبعوه..

حين تنظر إلى قوله تعالى ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أوحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أن أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ الشورى آية ١٣ ، إذن الدين

الواجب الإتباع هو الدين الذي كان يدعوا إليه أولئك الأنبياء، والذي هو نفسه الدين الذي يدعو إليه النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وهو التوحيد لله وعدم الشرك به.. أي تسلم نفسك لله.. وهو أن تحفظ نفسك وأخلاقك في أي مجتمع.. فإذا كانت دعوات الأنبياء السابقين اندثرت أو تم تحريفها، فهناك نسخة صحيحة باقية ولم تُحرف وهي الإسلام والذي لخصه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : (قل آمنت بالله ثم أستقم).

***

س: ما حكم من لم تصلهم دعوة الإسلام ولم يسمعوا عن النبي محمد مثل رجل يعيش في الإسكيمو؟

الجواب:

أولا: يستحيل أن يحاسب الله شخصا على الجهل بشيء إلا اذا كان أعطى لذلك الشخص وسيلة للعلم به.. والله أعطانا العقل، وبالعقل توصلنا لمعرفة كل شيء من علوم ومنطق ورياضيات..... و "الخالق"

ثانيا: الله لا يخلق خلقا ويتركه جاهلا بمعرفة الخالق

إذن معرفة الله ممكنة عقلا ولا يوجد إنسان لم يطرح على نفسه اسئلة وجودية.. :

من أنا؟ وكيف جئت إلى هذا العالم؟.. ومن أوجد كل هذا الكون من حولي.؟؟؟

فالعقل هو أول نبي (تعبير مجازي) يهدي الإنسان إلى الخالق....

أما النبي الحقيقي فهو ليس ساحرا.. لا يقوم بتنويم الناس مغناطيسيا ليجعلهم مؤمنين ولو كانت المعجزة فقط هي وسيلته في جعل الناس تؤمن بالله.. فهناك أيضًا من رأى المعجزة ولم يؤمن.. إذن العقل هو الذي كان

الفيصل هنا.. وبالنظر إلى رسالة النبي محمد نجد أنها تدعو إلى معرفة الله وعبادته عن طريق العقل لذلك تنتهي جميع الآيات التي تتحدث عن معرفة الله ب ﴿أفلا يعقلون﴾، ﴿أفلا يتدبرون﴾، ﴿لعلكم تفكرون﴾ لذلك وجدنا من يدخل الإسلام بعد وفاة محمد بأربعة عشر قرنا في بلاد أوربا وفي مشرق الأرض ومغربها.

إن العقل يرفض أن يعبد الإنسان صنما.. لذلك لا يجد الإنسان السوي أي عذر لمن يعبد الأصنام.. حتى الجهل ليس عذرا مقبولا منهم.. ولا حتى عبادة البقرة ولو اعطوا لذلك ألف سبب ولا حتى لكونها تمنحنا الحليب..

هذه حقيقة يعرفها رجل الاسكيمو.. اذن هو لديه تصور في خياله عن الخالق كيف يكون؟

وبهذا التعريف السلبي: الله هو : ليس الحجر ليس المطر ليس الشجر ليس الشمس ليس القمر... إذن معرفة الله بنفي الصفات السلبية هو في نفس الوقت إثبات للصفات الإيجابية "نفي النفي إثبات"

وبذلك تكون معرفة أن هناك خالقا .. أمر يمكن إدراكه.. والتقاعس عن إدراكه يستوجب الجزاء مثل الذي يتقاعس عن البحث عن الماء فأنه يستوجب على نفسه أن يموت عطشا.

ولما كانت غاية العبادة هي شكر الله المنعم الخالق فالشكر عبادة والاجلال والتقدير والتعظيم للخالق عبادة.. وبالتالي ليس لدى رجل الاسكيمو حجة ليقول لم أكن أعبد الخالق لأني لا أعرف كيف أعبده.. إن مجرد شعوره بالامتنان تجاه خالقه وخالق كل النعم التي حوله هي عبادة، تركه الفواحش عبادة.

***

س: هل الإنسان مخير أم مسير؟

الجواب:

الإنسان مسير من ناحية أنه مخلوق.. فالذي اختار الإنسان على هذا الشكل أو تلك الهيئة وفي هذه البلدة وفي ذلك الزمان هو الله الخالق... فصنع الإنسان من حق الصانع وبالتالي الإنسان ليس مخيرا في خلقه ولا في خلق أي مخلوق غيره ولا في قوانين الطبيعة.

ولكن الإنسان مخير في فعله.. لأن الإنسان محاسب وطالما أنه محاسب فيجب أن تكون أفعاله من كسبه وصادرة عن إرادته الخاصة، وإلا كان الحساب مسرحية عبثية والله سبحانه منزه عن العبث.. فالشمس تشرق صباحا رغم أنفك ولكن تركك للسرير وتأخرك عن عملك هو فعلك واختيارك

***

س: أين العدل إذا كان الله كتب الأعمال كلها في اللوح المحفوظ قبل أن نولد فلماذا يدخل هذا الجنة وهذا النار.. أين العدل في ذلك؟

الجواب:

إن الله كتب الأعمال بعلمه لا بقضائه فهو لم يقضي علينا أن فلان يجب أن يفعل كذا.. فإن كان الله كتب بمعنى فرض وأوجب على الإنسان الكفر، فلماذا يدعوه إلى الايمان؟ وإلا كانت هذه الدعوة عبثا... وإرسال الأنبياء عبث والإله لا يعبث..

وهناك فرق بين علم الله وبين قضاء الله على الإنسان، فلا مفر من قضاء الله، أما علم الله فالعلم بحال إنسان لا يجبره على أن يفعل ما هو معلوم عنه، كل الأمر أن علم الله عظيم.. وفيه مثال كنت دائما أقوله وهو هل علم

الأرصاد الجوية بسقوط أمطار غدا يجبر السماء أن تمطر؟ بالطبع لا ولكن إن حدث وأمطرت هنا نقول صدق علم هيئة الأرصاد الجوية..

فأيهم أصدق؛ الله أم هيئة الأرصاد؟ أليس الله أعلم من هيئة الأرصاد لأنه هو خالق الشيء (السماء والمطر).. كذلك الأم العاملة التي تترك طفلها مع جارتها وتقول لها بعد ساعة سوف يجوع أعطيه من هذا الطعام. .ثم بعد ساعة يجوع الطفل فعلا.. فهل علم الأم أجبر الطفل على أن يجوع؟ كذلك الله أعلم من الأم بما سيحدث من الإنسان..

***

س: ما معنى قوله تعالى " يُضل من يشاء "؟

الجواب :

مشيئة الإنسان لا تنفذ إلا إذا حصلت على مشيئة الله ﴿ولا تقولن لشيء أني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله﴾ الكهف اية ٢٣

فإذا شاء الإنسان أمرا فإن هذا الامر لا يحصل إلا إذا أذن الله له أن يحصل سواء أكان خيرا أم شرا لأنه لا شيء يقع في خلق الله رغما عن إرادة الله..

فقوم إبراهيم عليه السلام شاؤوا حرقه ولكن الله لم يشأ ذلك فلم يحترق!!..

وشاء قوم النبي صالح ذبح دابة الله وشاء الله لمشيئتهم أن تقع.. فذبحوها.

ولكن هل معنى ذلك أن الله أجبرهم على الذبح؟!! أم أنه فقط شاء وسمح لاختيارهم أن يتحقق؟!!

كذلك الضلال والإيمان.. فالله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، أي يسمح ويأذن لمشيئتهم أن تتحقق.

فمشيئة الله مشيئة إذْن وسماح بوقوع الفعل المختار، لان الله لا يخير إنسان ثم يحول بينه وبين اختياره.

ولا يوجد رجل اختار الهداية وأضله الله لأن الله ليس بظلام للعبيد.

***

س: ما الرد على من يقول أن القرآن الكريم تأليف النبي محمد؟

الجواب :

أنظر يا عزيزي إلى القرآن الكريم وإلى كتب الحديث ستعلم حينها أن القرآن الكريم ليس من تأليف النبي محمد

فكيف يصدر عن رجل واحد كلامين مختلفين في الأسلوب وفي الخصائص ولماذا يقول لهم اكتبوا عني القرآن ولا تكتبوا عني غيره؟ وأشار عليهم بمحو حديثه الذي هو كلامه.

فلماذا هذه التفرقة بين الكلامين؟ وما الداعي لها وما الذي يجبره على ذلك؟

ولماذا نجد في القرآن آيات تعاتب النبي وتلومه وآيات أخرى تكشف عما في صدور المنافقين الذي آذن رسول الله لهم في غزوة تبوك بعدم الخروج وقبل أعذارهم ثم نزل القرآن وبين أنهم كاذبون.

ومن أين علم محمد أن الروم ستنتصر في بضع سنين على الفرس؟!!

ومن أين علم محمد بقصص الأنبياء السابقين وماذا جرى لهم؟

ومن أين علم بقصة ذي القرنين عندما جاء اليهود ليمتحنونه فيها؟!!

كل هذه أمور تؤكد أن القرآن الكريم كان يأتي من مصدر آخر يعلم الغيب ويعلم ماذا جرى في الأمم السابقة ويعرف ماذا يجري داخل النفوس ويعلم ماذا سيجري لاحقا؟

بل كيف يستطيع بعد مرور ١٤٠٠ عام أن لا نجد دليلا واحدا على أن القرآن الكريم من تأليفه!!

***

س: البعض يدعي أن النبي محمد اقتبس تعاليم دينه من أديان فارسية قديمة كالصابئة، وأنه أخذ الصلاة وصوم رمضان والحج والإسراء والمعراج من أديان الفرس؟

الجواب :

لقد دخل الفرس في الإسلام أفواجا منذ زمن عمر بن الخطاب ومن قبل أسلم سلمان الفارسي في حياة الرسول.. لماذا لم يعد سلمان الفارسي إلى دياره عندما وجد تعاليم محمد هي نفسها أديان بلاده القديمة التي فر منها هاربا؟

لماذا والفرس دخلوا في دين الله أفواجا وهم الذين اقاموا الدولة العباسية الأولى وكانوا جيش العباسيين وأول الوزراء في دولتهم، لماذا لم يقل الفرس للعرب أن دينكم منحول من أديانا القديمة، وقد كان الفرس شديدي الاعتزاز بأديانهم القديمة، وحاولوا بالفعل بعثها واحيائها من جديد وظهرت المانوية في الإسلام ولم يدعي المانوية عند ظهورهم أن الإسلام منحول من ديانتهم..

ألف واربعمائة عام ولم يخرج صوتا فارسيا واحدا ليقول أن تعاليم الإسلام هي نفس تعاليم ماني أو زرادشت أو كونفوشيوس.. ثم من بضعة سنوات يأتي شخص ويقول أن الإسلام منحول من ديانات شرقية قديمة!! إذا كان سلمان الفارسي لم يكتشف ذلك وهو ابن خادم معبد النار في فارس.

والفرس الأوائل لم يكتشفوا ذلك بل والفرس الحاليين. فأصحاب دعاوى أن الإسلام منحول من ديانات أخرى ستجدهم إما نصارى، أو ملحدين!! ولا يوجد فيهم فارسي واحد!!

***

خاتمة

في خاتمة هذا الكتاب، يطيب لي أن أتوجه إليك عزيزي القارئ بالشكر على تحملك لهذه الرحلة العقلية، التي خضناها معا بين صفحاته..

تلك الرحلة التي استطعنا فيها – بتوفيق الله سبحانه – أن نبرهن فيها على أن الله سبحانه لن يخلق مخلوقًا ينكره، أو لا يستطيع الاهتداء إليه، فهو : ﴿الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾

والأولى بالهداية أن يهديك إليه، يُعرفك عليه سبحانه، والإيمان لا يحتاج إلى عمليات حسابية معقدة، ومعرفة الله في مقدور كل مخلوق يعلم أنه لم يكن سببا في إيجاد نفسه

فالإنسان العاقل هو الذي يدرك أن للكون إلهًا

وأن هذا الإله ليس كمثله شيء، يأمرنا بالخيرات، وينهانا عن الفواحش.

وأن الإنسان الذي يعتقد بذلك هو مسلم، سواء كان يعلم أو لا يعلم، ولم يتبق له من الإسلام سوى تأديه طقوسه الخاصة "العبادات".

نعم .. في نهاية رحلتنا نستطيع القول وباختصار:

الإسلام دين العقلاء، وأن العاقل لا يسعه إلا أن يكون مسلما..

***

المؤلف في سطور

أحمد شوقي عبد العزيز

وشهرته: أحمد الأسيوطي

- محام بالاستئناف العالي ومجلس الدولة
- دبلوم المعهد العالي للدراسات الإسلامية
- عضو مؤسس جمعية شباب الجنة بالجيزة
- مؤسس جروب حوار مع صديقي الملحد بالعقل والعلم والإيمان، وجروب سؤال في الدين، على موقع الفيسبوك، وناشط دعوي له العديد من المناظرات، والمقالات الدينية .

البريد الإلكتروني :Ahmed.pm21@gmail.com

***

الفهرس

الإهداء..... ص ٥
المقدمة ..... ص ٧
هكذا عرفت الله
١ – البداية..... ص ١٥
٢ – ما هي صفاته؟..... ص ١٩
٣ – ماهي طبيعته وهيئته؟..... ص ٢٣
٤ – أين هو؟ ..... ص ٢٥
٥ – هل يمكن رؤيته؟..... ص ٢٧
٦ – لماذا خلق؟..... ص ٢٩
٧ – ما الغاية من تنوع الخلق؟..... ص ٣١
٨ – هل يجوز منه التواصل مع خلقه؟..... ص ٣٣
هكذا عرفت الرسالة
١ – ما هي الرسالة؟..... ص ٤٣
٢ – ما هو الاسلام؟..... ص ٤٩
٣ – الاسلام والنفع الخاص والعام..... ص ٥٥
٤ – لو لم أكن مسلماً ..... ص ٥٧
هكذا عرفت الرسول
١ – معقولية الإرسال..... ص ٦٣
٢ – شخصية الرسول..... ص ٦٥
٣ – الرسول محمد (ص)..... ص ٦٧
شبهات وردود..... ص ٧١

للتواصل معنا يمكن مراسلتنا على الإيميل التالي

elyasminpublishing@gmail.com

ت: ٠١٠٠٩٣٦٨٧٧٥ – ٠١٠٩٠٩٢٤٤٤٢